الرسالة الكبرى

لسماحة السيد محمد علوان

« نص الكلمة التى ألقاها سماحته
فى الحفل الرسمى ليوم الذكرى »

سيدى نائب السيد الرئيس :

أيها السادة :

ربنا افتح قلوبنا لإلهامك ، وأفض علينا من أنوارك ، وهب لنا من لدنك ، قولا مبيناً ، ولحنا مضيئا ، نقدمه فى يوم الذكرى ، حبا وتسبيحا ، وإجلالا وتقديسا ، لصفوة خلقك ، وسيد أنبيائك ، وإمام رسلك ، الذى جعلته هديتك لعبادك ، ورحمتك لخلقك ، ونورك الذى صحب كتابك ، ليبينه للناس ، ميسرا بلسانه ، متجليا فى أخلاقه ، متحققا فى آدابه وكمالاته .

سيدى يارسول الله :

لقد أعطاك ربك مالم يعطى لسواك ، فشرح صدرك ، ورفع ذكرك ، وأعلى قدرك ، وأعطاك المقام المحمود الذى لا ينبغى لسواك ، وأخذ على النبيين كافة ميثاقا وعهدا ، أن يؤمنوا بك ، وأن ينصروك ، ليكون الإيمان بك ، والإنتصار لك ، علامة الإيمان بالله ، من لدن آدم ، حتى يوم القارعة الكبرى .

وبميراث منك يارسول الله . أصبحنا شهداء على الناس ، وغدونا أمناء على خطو الإنسانية واتجاهها .

فنحن ملح الأرض ، إن استقمنا استقامت ، وأن انحرفنا انحرفت ، وتلك هى الأمانة الكبرى التى حملناها ، وذلك دورنا القيادى العالمى .

سيدى يارسول الله :

لقد جئنا فى يوم الذكرى . لنحاسب انفسنا ، ونستعرض يومنا وغدنا ، جئنا محاولين ، أن نكون جديرين بشرف الإنتساب إليك ، والتلقى عنك .

وذكراك الحقه يا رسول الله ، هى أن نرتفع إلى مستوى الأمانة العالمية الربانية ، التى حملت أعلامها ، وأشعلت مصابيحها .

ترتفع إلى مستوى الرسالة والرسول ، ترتفع إلى أفق الكتاب المقدس ، ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه ، هدى وأمنا وسلاما للعالمين .

لقد جئت يارسول الله ، لتضع عن البشرية إصرها وأغلالها ، جئت لتحطم كل وثن من أوثان المادية ، وكل قيد من قيود الجاهلية ، جئت لتحرر الإنسان من عبودية الإنسان .

جئت لتحطم بوهج الكلمة الطيبة المباركة البناءة ، والاحتكارات الاستغلالية التى قسمت الناس فى عالم الروح ، إلى آلهة وعبيد ، وقسمت الناس فى عالم المادة ، إلى طبقات يتطى بعضها بعضا .

لم تأت يا رسول الله ، بمنهج نابع من الارض ، فرضته ضرورة اقتصادية ، ولا بإصلاح اقتضته ظروف اجتماعية ، ولا برسالة حتمتها حروب طبقية ، ولا بمطامع عنصرية عسكرية ، تستهدف الكبرياء والإستعلاء .

وإنما جئت بكلمات الله الشاملة ، التى لا تعرف الزمان ولا المكان ، كلمات الله ، التى تصنع الإنسان الكامل ، وتبدع العالم المثالى الربانى ، عالم حر ، لا يمشى مكبا على وجهه ، يقتات بالدماء ، ويتصارع للفناء .

عالم تحكمه الروح لا الغريزة ، وتسوده العدالة لا القوة ، وتهيمن عليه الأخلاق لا النفعية ، وتقوده فكرة تؤمن بالإنسان لا بالآلة

عالم تناسقت فيه وتعاونت كافة القوى الإنسانية ، عالم يؤمن بالروح ولا يجحد المادة ، ويحترم العقل والعلم ولا يتنكر للإيمان والعبادة ويقدس العمل ولا يلوى بعنقه عن الأخلاق .

ويتوج هذا كله ، ارتباط لا تنفصم عراه ولا يخبو سناه ، ارتباط الإنسان بالله ، وبهذا الارتباط الحى المتلألىء ، ترتفع الأسوار الشاهقة التى تعصم الانسان ، من انطلاقات غرائزه ، وشعار شهواته ، وكبرياء ذاته .

سيدى يا رسول الله .

منذ شهر تماما وقف رجل امتزجت تعاليمك بقلبه ، وأضاءت كلماتك روحه ، ليسمع الدنيا ، أن أرض النبوات والرسالات تتهيأ لدور قيادى عالمى من جديد .

منذ شهر تماما يا رسول الله ، فى العيد التاسع لثورة الأحرار البناة ، وقف زعيمنا ، وقائد بعثنا ، وموجه تاريخنا ليعلن انطلاقة شعبك العربى ، من إسار المواريث الرجعية ، ومن قيود الطبقية الاستغلالية .

وقف ليعلن كرامة الإنسان ، التى ضاعت وأهدرت واختفت داخل الأسوار الشاهقة ، التى شادها المحتكرون والمستغلون .

وقف ليعلن حق الإنسان فى حياة فاضلة ، وفى عمل شريف ، وفى مجتمع تتكافؤ فيه الفرص ، وتتساوى فيه الاقدار ، وتتعاون فيه الطاقات ، وتتجلى فيه الكفاءات .

مجتمع حر سليم ، مبرأ من الصراع ، مطهر من الشهوات ، يصنع بيده وبعرقه وبإيمانه يومه المشرق ، وغده الشامخ .

مجتمع يتكون من خلايا حية نشطة هادفة ، لا مكان فيه لمصاصى الدماء ، ولا مقعد فيه للمترفين العاطلين .

مجتمع يسير على تخطيط هادف ، وعلى منهج محرر يستهدف التوازن الاقتصادى ، والعدل الاجتماعى ، والبعث والإنطلاق للقوى الشعبية العاملة ، التى صنعت كل تاريخ مضىء ، ودعمت كل بعث منطلق .

سيدى أبا الزهراء :

إن إجلال العمل وتقديسه ، وتحرير الطبقات من الرق المادى ، وتكافؤ الفرص فى المجتمع التعاونى ، والحد من طغيان رأس المال الاستغلالى كل هذا يارسول الله ، كان اضوأ ما يكون فى رسالتك ، واجلى ما يكون فى هديك ومنهجك .

فعند ما أفاء الله عليك أموال بنى النضير ، نظرت فإذا بالمهاجرين الذين تركوا ديارهم ، أقل مالا من الانصار ، فدفعت بالفىء كله إلى المهاجرين لتحقيق بذلك التوازن المالى ، بين الفريقين اللذين كان يتألف منهما أول مجتمع اسلامى فى التاريخ .

ونزل القرآن بالحكم العادل الحاسم ، فى هذا التوزيع الهادف « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

ويمر عليك يارسول الله رجل فيرى أصحابك من جلده ونشاطه فى الكسب والارتزاق ، ماجعلهم يتحدثون فيه ، قالوا : يارسول الله لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقلت صلوات الله عليك :

إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج رياء ومفاخرة ، فهو فى سبيل الشيطان :

ذلك منطق النبيين ، ولحن المرسلين ، كل عمل مثمر فى الحياة ، فهو مقدس ، وهو فى سبيل الله .

وذلك دين القيمة ، لأنه دين العمل والبناء ، كما هو دين الروح والأخلاق .

فأكمل المؤمنين إيمانا كما تقول يارسول الله ، أحسنهم أخلاقا ، والله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس ، ورحم الله امرأ سهل البيع ، سهل الأخذ ، سهل العطاء سهل التقاضى .

ثم تحيط هذا كله بالآدب الإجتماعى العالى ، أدب النفس المطمئنة الراضية فتقول لابن مسعود :

لا ترضين أحدا بسخط الله تعالى ؛ ولا تحمدن أحدا على فضل الله عز وجل ، ولا تذمن أحدا على مالم يؤتك الله تعالى ، فإن رزق الله تعالى لايسوقه إليك حرص حريص ، ولا يرده عنك كراهة كاره وإن الله تعالى بعد له وقسطه جعل الروح والفرح ، فى الرضا واليقين ، وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط .

أيها السادة :

إن البعث الأكبر الذى أطلقه الرئيس جمال عبد الناصر فى أفاق حياتنا ، فى حاجة إلى قوى روحية إيجابية نشطة ، تمشى مع خطوه . بإلهامها ونورها ، تسانده وتؤيده وتفتح له القلوب المؤمنة ، وتصوغ له الضمائر الحية ، وتصنع له العزمات القوية .

يجب أن نطلق التيار الروحى فى مصانعنا ومعاملنا وحقولنا ، وفى كل مجال من مجالاتنا ، حتى نشكل لمجتمعنا الحديث ، ملامح خلقية سامية ، كفاء نهضتنا البناءة الثائرة .

والمنهج الروحى الصوفى أيها السادة : ليس مجرد إقامة الشعائر ، وتأدية الفرائض وذكر الله فحسب ، بل كل نشاط حيوى للإنسان ، وكل عمل من أعماله الدنيوية ، تطهرت فيه النية ، واتجهت إلى الله ، فهو عمل تعبدى ، ومنهج صوفى .

إن الآداب الصوفية هى فى جوهرها وروحها ، آداب اشتراكية تعاونية ، فالتصوف محبة وإخاء وتعاون وتكافل ومساواة والتصوف هو التسامى نحو الكمال فى عبادة الله ، وفى الحياة .

فالعامل المتقن لعمله صوفى ، والموظف الأمين صوفى ، والجندى الفدائى صوفى والتاجر الصادق فى تجارته صوفى .

تلك هى رسالة التصوف ، قبل أن تتسلل إليه مواريث الرجعية . وذلك منهجه

الإيجابى ، الذى صاغ وصنع أمجاد العروبة والإسلام ، ودفع بهما إلى دورهما القيادى العالمى .

لقد عصم التصوف المجتمع الإسلامى من الأمراض النفسية التى تفتك بالبشرية ، وتدمر حياتها فهو الذى يطهر الفرد من أنانيته بكل توابعها من شهوات ونزوات وهو الذى يعصم النفس من الظلم والجشع ، والحقد والطمع ، ويصون المجتمع من سعار الاستغلال والاحتكار .

والتصوف أيها السادة : هو الوجه المنير للحضارة الإيمانية إنه يشكل ويصنع حضارة لا تخضع للغرائز ، ولا تسلم تيارها للشهوات ، ولا تسجد للشيطان ، ولا تتبع خطواته وفلسفاته .

ولقد استهدف الصوفية دائما خطو النبى وحياته ومنهجه وأخلاقياته وتتبعوه صلوات الله عليه ، وخواطره وفى خلواته ، وحركاته وسكناته ، وربطوا قلوبهم بقلبه فأصبحوا نماذج متلألئة فى الأفق المحمدى ، لا ينحرفون ولا يميلون ، ولا تتفرق بهم السبل .

ومن هنا كان حبهم لرسول الله أعظم من حب الناس كافة ، ولقد كانت رابعة العدوية تصلى ألف ركعة فى اليوم والليلة . فقيل لها ما تريدين بهذا ؟ قالت : لا أريد به ثوابا ، وإنما أفعله لكى يسر به رسول الله يوم القيامة . فيقول الأنبياء : انظروا هذا عمل امرأة من أمتى هذا عملها .

إن هدف التصوف أيها السادة ، هو إيجاد الإنسان الفاضل . والمجتمع الطاهر والانسانية الربانية السعيدة

إنه رسالة يجب أن يتكاتف المؤمنون على القيام بها ، وفتح الآفاق لأنوارها ، وكشف الحجب عن روحها .

يجب أن نضىء مصابيحها ، وأن تبرز مناهجها وأهدافها ، وأن نقدم زادها الروحى والخلقى والإيمانى للناس كافة ، ليجدوا فيها نجاتهم وعصمتهم .

سيدى يارسول الله :

على براق من القدرة الإلهية ، وعلى جناح من الرعاية الربانية ، ردت الوجود كله فاجتزت يوم معراجك عتبات الفضاء وصعدت إلى أقطار السماء ، ثم ارتفعت وسموت

إلى الآفاق العلى ، لتشهد من آيات ربك الكبرى ، ولتبصر العجائب العظمى ، وعند سدرة المنتهى ، وقف أمين السماء ، عند مكانه وقدره ، فما ينبغى لغيرك ، أن يرتفع ارتفاعك . وأن يسمو سموك ، وأن يطرق أبواب الأسرار ، وأن يشهد مطالع الأنوار ، وأن يتلقى من خالق الليل والنهار ، ما تلميت وما أوحى إليك به ، وما أحطت به علما وكشفا وذوقا .

ثم عدت من رحلة السماء يا رسول الله ، وقد امتلأت يداك ، بهبات الله وعطاياه لتفيض على الوجود كله ، ولتمنح البشرية كافة ، سرا علويا مقدسا من فضل الله ، هو فريضة الصلاة ، التى جعلها الله معراجا لكل مؤمن تسمو به صلاته إلى العرش فتدندن حوله مذكرة بصاحبها ، ثم تصعد إلى رب العرش فتناجيه وتخاطبه ، وتنعم برضاه وبرضاه .

سيدى يا رسول الله : لقد كان معراجك إيذانا للإنسانية ، وبلاغا للبشرية بأن آفاقا فسيحة جديدة فى عالم السموات ، قد فتحت أبوابها ، ومهدت طرقاتها لتكون مجالا من مجالات التطور الإنسانى ، وساحة من ساحات الامتداد والانطلاق فى الكون الفسيح ، الذى سخر كل مافيه للإنسان ، فكنت أنت يا رسول الله الرائد الأكبر للإنسانية فى كل ميدان من ميادين حياتها ، وفى كل أفق من آفاق وجودها ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

أيها السادة :

إن اليوم ، يوم الذكرى الخالدة ، ولو فقهت الإنسانية الجاحدة ، لاتخذتها عيدا عالميا ، واعتصمت بها صراطا مستقيما ، يهديها سبل السلام وينقذها من رجفات الرعب التى تحيط بها ، وصيحات الهول التى تخطف أنفاسها .

فلنتجه بقلوبنا وبمشاعرنا إلى صاحب الذكرى صلوات الله عليه ، ولنعاهده بقلوب مخبتة ، على أن نعيش أحرارا أقوياء ، أعزة بديننا وبرسالتنا .

إنه يوم الذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين ، يوم أشرقت الأرض بنور ربها ، وحلقت الملائكة فوق مكة وهضابها .

هناك فى المكان الطاهر المقدس . فى بيت عبد الله بن عبد المطلب ، فى فجر يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول فى عام الفيل ، أكرم الله

الإنسانية وأعزها فوهبها صفوة خلقه وأكرم عباده ، سيد الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا ومولانا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

أيها السادة :

هنا من تلك البقعة الزكية الطاهرة التي شرفت بإحياء مولد الرسول . هنا حيث يجاب الدعاء ببركة محمد الأمين صلوات الله عليه ، نتجه إلى الله ضارعين منيبين ، أن يجنب الإنسانية النار الكبرى ، التي يوقد لهيبها ، ويشعل أوارها جبابرة عتاة ، نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وأن يعيد للإسلام أيامه ، وللعروبة أمجادها .

وأن يشمل زعيمنا ومحررنا البطل المجاهد الرئيس جمال عبدالناصر بعونه ورعايته وأن يمن عليه بتوفيقه ونصره حتى يبلغ بأمة القرآن والرسول ، ما أوجب لها القرآن وما أحب لها الرسول .

وتحية للأبطال المجاهدين في الجزائر ، وللمناضلين المكافحين في تونس ، وللكماة الأباة المرابطين على حدود فلسطين . وللأحرار الثوار في كل مكان .

وصلوات الله وسلامه على صاحب الذكرى ، نبي الرحمة ، وإمام العالمين .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟